

# بشاهد في عصر الوباء

مقالة بعنوان:

نعمة أم نقمة؟  
(فايروس كورونا يغير المفاهيم)

لن أسهب اليوم في المقدمات، فما أراه حولي أشبه بمسلسل كثير الحلقات لم ينته بعد، ولكنه على عكس المسلسلات الدرامية، قطعة خيالية يريد متابعتها لو انتهت من أول حلقة، ولكن مخرجها يريد لها أن تستمر حتى تصل كل دار، ينظر الجميع في حلقات هذا المسلسل المسمى (كورونا) إلى أعداد الموتى، يرقبون كل يوم نشرة الإعلان عن النتائج، ويفردون عمن يحتل الصدارة في دوري الإصابات، وربما انتظر الواحد منهم دوره حتى يأتيه المرض، فيكون بطلا من أبطال المسلسل، ينظر الأغلبية بسوداوية للموضوع، ولست ألومهم أبدا، كيف أطلب ممن مات له قريب، أو فقد في هذه الجائحة أكثر من حبيب، أن يرى الورد ولا يرى فيه الشوك، وأن يرى البدر ولا يبصر من حوله الظلمة، وأن يتمتع باضرار الأشجار ولا ينكسر بتساقط أوراقها؟

ولكنني أنظر لهذه الجائحة من منظور مختلف قليلا، منظور إيجابي وبهي، منظور لم أكن أدركه من قبل، لقد جاء هذا المرض وأوضح لنا، لا بل للعالم أجمع، أن ما يبصره المرء ماء قد يكون سرايا، وما يظنه الصياد ظبيا قد يكون ذبابا، دعوني لا أطيل في الحديث هنا، دعوني أنتقل بكم قليلا إلى ما قبل الأزمة، ننقل عدسة الكاميرا سنة من الآن إلى الوراء ونقوم بتكبير الصورة، ثم ننظر إلى ما يتناقل عنا وعن بلدنا الحبيبة في وسائل التواصل الاجتماعي والجرائد والأخبار، إن لم تكن مراقبا للأخبار فدعني أخبرك، ينظر إلينا الناس على أننا دولة وشعب لا نرعى حقوق الإنسان، ولا نهتم بحريات الناس، نحن قوم – كما يظنون – لا نعطي الحياة البشرية أية أهمية، وربما كنا نفتخر بالتناحر فيما بيننا، ربما قابلت شخصا من خارج السعودية، فلما عرف أنك من المملكة، رأيت البغض في عينه لما نقله له الإعلام، وهنا أشكر القنوات مثل سي إن إن والجزيرة وغيرها على الصدارة في تشويه صورة وطننا وشعبه، حتى إنني أقول لنفسي أحيانا، لو لم أكن سعوديا، لربما صدقت ما تقوله هذه القنوات عن

السعودية وأهلها من ضخم المواد الإعلامية التي يبثونها ويحاولون من خلالها رسم صورة عن  
الإنسان واللاإنسانية التي تعجّ بها بلدنا!

دعونا ننقل عدسة الكاميرا مرة ثانية إلى مشاهد متفرقة من سنوات كثيرة طويلة، كنا نحن  
السعوديون ننظر إلى أنفسنا نظرة استصغار واحتقار، نطن من خلالها أننا الأسوء في كل  
شيء، الأسوء في الأنظمة التعليمية والجامعات، والأسوء في الأنظمة الصحية  
والمستشفيات، والأقل إدراكا في التعامل مع الكوارث والأزمات؛ كنا ننظر إلى العالم المتقدم  
على أنهم سابقون في كل شيء، وكأنهم بدؤوا السباق قبلنا، أو بدأناه معا ولكن لم تكن  
لدينا محركات كالمحركات التي يمتلكونها، كنا – وأنا أحدكم – إذا تذكرنا الحياة في الخارج  
حسدناهم عليها، وظننا أنهم في خير ونعمة، وأننا في شر ونقمة.

والآن نرجع عدسة الكاميرا إلى عام 2020 حيث يجتاح فايروس كورونا العالم كله، هنا تتغير  
المفاهيم، وتتعدل النظرة، هنا تثبت المملكة العربية السعودية لشعبها أولا أنها قائدة  
ورائدة في قيادة الأزمات، تثبت أن الماضي يتغير، يتعدل، يتلون بألوان الجمال، لنا همة كجبال  
طويق، لن نزول حتى نزول هذه الجبال كما قال قائدنا سمو الأمير محمد بن سلمان، تثبت  
المملكة اليوم أن ما تعدنا به في رؤيتها 2030 من تطور وحضارة، ليس فقط مجرد حبر على  
ورق، ولا كلاما على منابر، إن المتأمل في المشاريع الجديدة التي تقوم بها الدولة يعني حتما  
مقدار التغيير الجذري الذي يحدث، ولكن كثيرا لا يرقبون هذه التغييرات ولا يهتمون لها، هم لا  
يريدون إلا زيادة لحظية في رواتبهم الآن دون نظرة إلى المستقبل، وهنا جاء كورونا ليغير كل  
شيء!

جاء ليثبت للجميع أن ما يدور خلف الستار، وفي أروقة اجتماعات المسؤولين، عمل عظيم

يستحقه هذا الوطن، لقد استطاعت السعودية اليوم أن تبهرنا نحن شعبها في تعاملها مع هذه الجائحة، لا أتحدث هنا عن تعاملها الطبي فقط، بل تعاملها الإنساني والاجتماعي والطبي، لقد رأينا من التعاون بين الجهات الحكومية والأهلية والفرق التطوعية والأفراد تفردا وتميزا لم نره في دول العالم المتقدم، كان الجميع مثل اللآلئ في عقد جميل، لو نقصت منه واحدة نقص جماله، ولكنه كان محكم العقد، لقد عشنا حتى نجد الناس يقولون "الحمد لله إني سعودي"، وقد كان بعضهم يقولون "هرمنا حتى هذه اللحظة". لقد رأينا أخيرا فخر الناس بوطنهم، واعتزازهم برايتهم، ليس اعتزازا لأنهم في اليوم الوطني، بل لأن وطنهم جعل لهم كل يوم في الجائحة يوما للوطن! كنا نعيش في الوطن، وصار يعيش فينا، يتفقد أحوالنا، ويسارع لإسعافنا.

أما على المستوى الدولي، فقد بات واضحا للجميع أن هذه البلاد هي مملكة الإنسانية، لا كما يروجون أنها بلد الإرهاب، أي إنسانية في بلادكم إن لم تعالجوا الناس؟ أي إدارة للأزمات إن اجتاحكم المرض وقد علمتم قبل أشهر عديدة باجتياحه في الصين؟ أي حس اجتماعي عندكم في فصل الملايين من أعمالهم بسبب الاستغناء عن خدماتهم في حين تدفع حكومة المملكة وتضخ الأموال للحفاظ على الأمن الوظيفي لشعبها أثناء الجائحة؟

أي قرار أرعن بفتح الحدود حفاظا على أكبر اقتصاديات العالم لكي تحفظوا الدولار وتضحوا بالإنسان؟

ألسنا نحن دولة الإرهاب التي تقتل شعبها كما يدعون؟

ألسنا نحن الدولة التي لا تلتزم بمذكرات حقوق الإنسان؟

أعتقد أن هذه الجائحة قد وضعت النقاط على الحروف، وأكدت بلا شك حديث معالي الوزير

عادل الجبير في لقاء تلفزيوني، أن الصحة والتعليم هما من أهم ركائز الإنسانية في بلدنا، والتي لا يسلط العالم الغربي عليها الضوء في بلدنا، لأنهم اختاروا أن يلعبوا في الماء العكر. إنني أظن يقينا أنه بقدر لسعات هذا الفايروس لنا، بقدر العسل الذي جنيناه منه، وبذات أعداد الإصابات في العالم، استطعنا أن نثبت للكثيرين تفوقنا الطبي والإنساني والاجتماعي، لقد أثبتنا لأنفسنا أنه لا شيء يقف في وجه الإرادة، أثبتنا أن الكائن السعودي قادر بتوفيق الله على العمل تحت أكبر الضغوطات، وأن ينجز الكثير من العطاءات، فقط إذا أراد ذلك ووضع هدفه نصب عينيه، فلنكتف إذا من التشكي والنواج، والنظر إلى مقدرات غيرنا على أنها خير منا، لقد رأينا بأنفسنا ما نحن قادرون عليه ولله الحمد، فلنطرد الكسل، ولنبدأ العمل.

بقلم/ عبدالرحمن بن أحمد باجنيد



شاهد  
في عصر  
الوباء